

المسلمون في الاقطان غير الاسلامية حقوقهم، واجباتهم، مشاكلهم، وحلولها

المسلمون في الاقطان غير الاسلامية حقوقهم، واجباتهم، مشاكلهم، وحلولها

أ.د. محسن عبد الحميد*

عضو المجمع العالمي للتقرير بين المذاهب الاسلامية

لشك ان المسلمين عامة واقلية لهم في الغرب خاصة يواجهون في تعاملهم مع شعوب الغرب مشكلات متنوعة منها الثقافية يجب ان نتعرف عليها كي نحاول تجاوزها ونعرف كيف نتعامل معها بحيث ندخل في حوار حقيقي يؤدي الى تعاون حضاري مع تلك الشعوب دون ان تفقد الاقليات الاسلامية خصوصيتها وحياتها الدينية والخلقية والثقافية.

وفي رأيي ان تلك المشكلات تتولد من القضايا الآتية:

اولا: الثقافة الصليبية التاريخية التي انتقلت في الاجيال المتلاحقة وترك اثراً في وجدان المسيحيين في الغرب والتي تشكل حجاً با منظور او غير منظور بينهم وبين تلك الاقليات المسلمة.

ثانيا: النظرة الاستعلائية لمنظري الحضارة الغربية واهلها والتي انتهت الى تجاهل الحضارة الاسلامية وانكار تأثيرها وفضلها على الحضارة الغربية علماً ان عدداً من كتبوا عن الحضارة الاسلامية يعترفون بذلك التأثير.

ثالثا: التنظير الجديد لتحديد العلاقة بين الحضارات والذي يقوم في رأيهم على اساس الصراع وليس الحوار. والكتاب الخطير لصموئيل هينتون (دام الحضارات) شاهد على ذلك.

والخطير في ذلك الرأي ان هذه النظرية لم تبق في اطار التجرد الفلسفية، وإنما نزلت لتوجيه السياسة الامريكية التي يقودها المحافظون الجدد المعروفون بالجامعة الانجليية الصهيونية.

رابعا: ان العنف الاستعماري الغربي الطويل في البلاد الاسلامية، ووقفه الحازم امام قيام النهضة الاسلامية، والتأييد الشامل لاستيلاء اليهود على فلسطين، ومساعدة الانظمة المستبدة الطالمة، ادى الى ظهور عنف مقابل غير رشيد، انتهى الى الصدام الدموي، ليس مع الادارات الغربية فحسب وإنما مع شعوبها تجلى في تفجير السفارتين الامريكيتين في افريقيا ثم تدمير برج التجارة العالمي، وقتل الوف المدنين الامنيين فيهما وتفجير القطارات في اسبانيا وفرنسا وانجلترا، مما اظهر الاسلام امام العالم الغربي وكأنه ارهاب ديني بحت، اخرج تلك الاقليات الاسلامية احراجاً كبيراً بالتطبيق على حریتهم، ووضع القوانين المتعسفة لتقليم اطافهم والحد من انتشارهم، فضلاً عن منع اعطائهم الجنسيات والاقامت.

ولعل هذه الاخيرة كانت الكارثة الكبرى التي حلّت بالاقليات الاسلامية في حرية اخذ المبادرات، والتّوسيع في النشاطات والتقدّم في النمو الاقتصادي، والتمدد الاجتماعي والثقافي الاسلامي.

تلك المشكلات كلها لابد ان يقف المسلمين في الغرب امامها و والتفكير العلمي الصحيح في كيفية اجتياز الازمة والتخفيف من الاثار السيئة التي تركتها شيئاً فشيئاً.

وعلى الرغم من ان اخواننا في الغرب، ادرى بشؤونهم واكثر ادراكاً لترتيب اوضاعهم ومع ذلك فالواجب علينا ان نقدم لهم النصائح ولاسيما اننا في العالم الاسلامي مطلعون على اوضاعهم من خلال القنوات الاعلامية المتنوعة التي جعلت من الكورة الارضية كلها قرية واحدة بل بيتاً واحداً.

لقد من العالم الاسلامي تجاه مطالم الغرب واستعماره لبلاد المسلمين بمرحلتين متميزتين:

مرحلة الدفاع: والتي كانت تعبر عن الموقف الانهزامي، امام الحضارة الغربية فكان المفكرون المسلمين يريدون ان يثبتوا ان عقيدتنا لا تخالف العالم الغربي وشريعتنا تحقق ما تحقق اوربا ومصطلحاتهم التي تعبر عن تطور حضارتهم موافقة لمصطلحاتنا الاسلامية كالديمقراطية مقابل الشوري، والاشراكية مقابل العدالة الاجتماعية، والرأسمالية مقابل اباحة الملكية الفردية في الاسلام وهكذا.

مرحلة الهجوم: عندها بدأ الفكر الاسلامي يصطدم مع حضارة الغرب رافضاً مبادئها الالحادية التي انتجت حضارة مادية لا تؤمن بغير القوة واخلاقياتها لا تقر الا بالنسبة التي فتحت المجال الواسع للاباحية فلا يمكن التعامل معها إلا من خلال العلوم المصرفية ولا الاطمئنان اليها ولا التعامل معها في تجديد حضارتنا المنشودة.

واما اليوم وبعد اليقظة الاسلامية الحاضرة التي اظهرت امام العالم جوانب مهمة من مذهبية الاسلام الكونية والانسانية الشاملة لم نعد بحاجة الى ان نقف موقف المتواتر الرافض لمبادئ وثقافة وحضارة الغرب جملة وتفصيلاً.

ان الحضارة الغربية ليست حضارة عنصرية ضيقة وانما هي حضارة انسانية عامة، تحفظ بقدر كبير من التأثيرات الاسلامية عليها ولذلك فلا بد من بناء جسور قوية بينها وبين المنظومة الاسلامية من اجل التواصل الحضاري معها. فالنزعه الانسانية والاتجاهات العقلانية ومناهج البحث العلمي في الوصول الى الحقائق، وخطط التنظيم التنموي على سبيل المثال في هذه الحضارة الحديثة ميادين خطيرة يجب ان يتم فيها الحوار على اعمق واسع ما يكون، لأن تلك الميادين من اخص الانجازات التي نفتخر بها في منظومتنا الحضارية المفتوحة على الحضارات العالمية جميعاً. بحيث ان المفكر المسلم يكاد لا يرى جديداً في تلك المجالات في المنظومة الغربية الحاضرة. ولعل هذا هو الذي يفسر لنا دخول المنظومة الاسلامية في هذا العصر الى المجتمعات الغربية، من القمة الفكرية لامن قاعدتها الجاهلة، كلما درس اصحاب تلك القمة حقائق الاسلام في قاعدته الانسانية العريضة.

فاذن الحوار البناء بكل ابعاده مع المجتمع الغربي يجب ان يكون هو القانون الاساس للاقلليات الاسلامية في الغرب. اما الهجوم واتباع منهج العنف في التعامل مع تلك المجتمعات، فلن يؤدي لا الى مزيد من التوتر، ومزيد من محاصرة مراكز القوى لمجتمع الاقليات الاسلامية واصطدام مزيد من المشاكل امام تطور وتنمية اوضاعهم.

ان هذا الحوار الجاد، لابد ان يعتمد من وجهة نظرى الى المقومات الاتية:

1- ان الاقليات الاسلامية تعيش بين منظومتين حضاريتين في الوقت نفسه، مذهببتهما الكونية مختلفتان في الاصول العقائدية.

فاما يمان المسلم بعقيدة التوحيد والنبوة العامة والخاصة وما يتربى عليها لا يمكن ان ينهار امام الثالثوthe المسيحي الذي ليس تاثيره مباشر وشامل في المجتمعات الغربية بل هنالك ابعاد عنها وتمرد عليها ولاسيما ان تلك العقائد الغامضة وغير العقلانية لا تدخل في مجالات التربية والتعليم مباشرة حتى يتأثر بها الجيل المسلم وانما هي محصورة في الكنائس والمدارس والمؤسسات الثقافية الدينية ومن هنا فان تلك العقائد النصرانية لا تشكل خطا على عقائد المسلمين في المستقبل ولا سيما اذا تلقت الاجيال القادمة العقائد الاسلامية بصورة صحيحة وبأسلوب التربية العصرية.

2- في الدعوة الى الاسلام بين اجيال الاقليات وغيرهم، يؤكّد الدعاة والمربيون على الكلمات الشرعية ومقاصدها، والابتعاد عن المسائل المذهبية والطائفية على ان يتم ذلك بلغة عصرية هادئة، تستبعد منها المصطلحات الاسلامية الخاصة والتي تثير اللامعور الغربي ابتداء كالخلافة والصلبية والجهاد والشريعة والكفر وما الى ذلك.

3- لاشك ان الفلسفات المادية الغربية، انتجت نظاماً تربوياً مبنياً على نسبة القيم والاخلاق بينما الاخلاق والقيم الاسلامية العليا خالدة لانها انبثقت من تجليات اسماء الحسن مجتمعة متوازنة متكاملة، فالمسلمون لابد ان يفكروا في مياغة نظام تربوي يحاول ان يجمع بين القيم الانسانية التي يؤمن بها الانسان كسلوك اجتماعي وتلك القيم الاسلامية المشابهة في اطار منهج مقاصدي مصلحي، بعيد عن المنهج الظاهري الذي لا يؤمن بالقطع والحسن والمواجهة، ولا يحيب على اسئلة الاجيال في كيفية الملائمة مع الاخلاق الاجتماعية في المجتمع الذي يعيشون فيه دون فقدان الهوية الذاتية الاسلامية التي يحافظ عليها النظام التربوي الذي تقوده عقيدة التوحيد.

4- ان المسلمين في الغرب اذا استطاعوا ان يكونوا مجتمعات متميزة بقيمه الاسلامية الانسانية الرفيعة التي تناطب الفطرة ولا تلغى العقل او العاطفة فحينئذ يستطيعون ان يشحذوا الاخلاقيات النسبية بقيمهم المتوازنة فيخدمون حضارة الغرب خدمة كبيرة كما اننا في العالم الاسلامي نحتاج الى علومهم وتنظيمها لهم للحياة فهم يحتاجون اليها في تقويم اعوجاج قيمهم المنحرفة والتاكيد على المبادئ التي يمجدونها كالاخوة الانسانية او الشورى والحق والتعاون وحقوق الانسان وتوسيع دور المرأة في نواحي

ولاشك انهم في تلك القضايا المهمة يحتاجون الى اخوانهم في البلاد الاسلامية ليقدموا لهم عونا فكريا وعلميا وماليا مستمرا يردد تنفيذ مخططاتهم ويعمق فكرهم ووعيهم وينور عقولهم حتى يعطوا الاسلام في الغرب صورة ايمانية وانسانية كريمة.

5- لابد ونحن نحاول ايجاد الحلول المناسبة لمشكلات الاقليات الاسلامية استخلاص فقه واقعي موزون يناسب اوضاع مجتمع تلك الاقليات في اطار ضوابط الفهم الاصولي والتحرك ضمن اوسع دائرة مقبولة للتأويل الاسلامي وانا ادعو هنا الى عدم الاستعانة بحفظة النصوص المتعصبين وانصاف الفقهاء والمتشددين للذهاب الى تلك البلاد لالقاء المحاضرات على المسلمين وغير المسلمين وقد لاحظت بنفسي في عدد من البلاد الغربية التأثير السلبي لوجود هؤلاء والبلية الفكرية التي يحدثونها من خلال اراءهم الشخصية وفتواهم الضيقة التي تتبنى مذهبها واحدا او طائفة معينة دون الاعتماد على المبادئ العامة للإسلام، وسماحة شريعته ومرورتها الفائقة المناسبة لاواعض الفطرة البشرية.

ثم انهم يتبعون منهاجا استفزازيا في الهجوم على قوانين وعادات واعراف الاقوام الغربية، ولايساعدون محاولة العقلاء بين الاقليات الاسلامية لهدم الحدار النفسي التاريخي الذي صنعته الكنيسة والدراسات الاستشرافية في العصور الاخيرة فحجبت عن الغربيين رؤية الحقيقة.

ومن جهة اخرى فانهم لا يأخذون الذين يدخلون هناك في الاسلام بالتدريج لاخراجهم من منظومة حياتهم الى المنظومة الاسلامية بيسر وسهولة ودون حرج حتى يستشعروا عظمة الاسلام وواقعية شريعته السمحاء.

6- ان الاخطاء القاتلة التي ارتكبها المتشددون الاسلاميون في بلاد الغرب والولوج في الدماء البريئة شوهت وجه الاسلام في الغرب كما ذكرنا سبقا

ومن هنا لابد للمسلمين في الغرب ان يبذلوا جهودهم ومعهم العالم الاسلامي كله كي يصححوا صورة الاسلام الحنيف عند تلك الشعوب.

والملحوظات الاتية قد تفيد في هذا المجال.

أ- عند مناقشة القضايا التي تخص مواقف العالم الغربي من العالم الاسلامي لابد من اتباع منهج علمي

هادئ يعتمد على المنطقية في الحوار والواقعية في تقديم الأدلة.

بـ- عقد مؤتمرات فكرية ذات مستوى عصري رفيع لالقاء المحاضرات عن الاسلام عقيدة، شريعة، واخلاقا ، والاستعانة في ذلك بكتاب الدعاة والمفكرين والمتقفين حتى تنجلி الحقيقة امام الناس هناك ليعلموا ان الاسلام هو دين الرحمة والسلام للعالمين جميعا .

7- عدم اعطاء المجال للتمزق الاسلامي في بلاد المسلمين، ان يدخل المجتمعات الاسلامية الصغيرة في بلاد الغرب، لانه سيعيقهم من تكوين كياناتهم القوية الموحدة ويحول بينهم وبين تقديم اسلام حقيقي شامل الى الغربيين فالشعوب هناك لا تحتاج الى ان نقدم لها فكرا اسلاميا احاديا بل تحتاج الى الوحي الالهي المأمور من كتاب الله عليه وسلم ويتابع ذلك عدم السماح للسياسات المختلفة للدول الاسلامية من التأثير على اوضاع المسلمين في الغرب ولعل هذا من المسائل التي تواجه الصفة الاسلامية الموحد هناك وتقف امام وحدة فكرهم وثقافتهم.

8- من اجل الحفاظ على الهوية الاسلامية العقائدية والاخلاقية والاجتماعية في الاجيال القادمة لابد من الاهتمام الكبير بالمؤسسات الاعلامية المقرؤة والمسموعة والمرئية وانشاء النوادي الاجتماعية والادبية والفنية والعلمية والترفيهية والرياضية، تلك التي تشعر المسلمين بوحدة كيانهم الديني والاجتماعي، في خضم الفلتان الاجتماعي والأخلاقي التي يعيشون فيها .

9- لابد من اشعار تلك الشعوب الغربية ان المسلمين عامة، سواء ا كانوا من اهل البلاد الاصليين ام من المتجنسين ام من المقيمين حريصون كل الحرص على مصلحة البلاد التي يعيشون فيها باحترام قوانينها وعوايدها .

اقول هذا و لاننا نسمع ونرى كثيرا من المتشددين يريدون ان يعيشوا هناك عيشة التوتر الدائم والتحدي المستمر وهذا يضع عقبة امام المسلمين وتطور حياتهم ويسحب ثقة من يعيشون بين ظهارائهم منهم.

10- ان المشكلة الكبرى التي تواجه مجتمعات الاقليات الاسلامية هي مشكلة ذوبان الاجيال الصاعدة في اتون اخلاقيات الاكثرية التي كما ذكرنا تعيش في عالم بعد عن هداية الدين وسقوط الاخلاق ومعنويات العولمة الاباحية.

ومن هنا اذا ارادت الاقليات الاسلامية في المجتمعات الغربية ان تبقى في اطار عقيدتها وخصوصيات

شريعتها وخلود نظامها الاخلاقي فعليها ان تحرص على تربية الجيل القادم تربية بيتية ومسجدية واجتماعية اسلامية مركزة حتى ينضبط ابناؤها بمضواط الاسرة الاسلامية المتميزة. وهذا ليس بدعا في تواریخ الامم والشعوب

ان كثيرا من ابناء الاقليات في البلاد الاسلامية وغير الاسلامية حافظوا على خصوصيتهم العقائدية والثقافية والاجتماعية. مثل ذلك اليهود والنصارى والصائبة واهل الاديان والطوائف الاخرى.

وفي ختام هذه الكلمات القصيرة اقول ان المسلمين في الغرب مهددون اكثر من اي وقت مضى بنظام العولمة التي ت يريد ان تفرض نظاما تربويا اخلاقيا ماديا اباحيا على البشرية، تسلح منهم عقائدهم وتنسيهم هويتهم الحضارية وذاكرتهم التاريخية والاقليات الاسلامية واجيالهم الجديدة اكثر عرضة لاعلاميات العولمة ومكائدتها ولذلك فعلتهم ان يلتفتوا بقوة الى انفسهم، وتنظيم تربية اولادهم واحداثوعي اسلامي معقول وسطي رحيم بينهم. علما اننا موقنون ان الطبقة الاسلامية المتنورة من المسلمين في تلك المجتمعات الغربية هم اقدر منا نحن الذين نعيش في البلاد الاسلامية على فهم طبيعة التعامل مع منظومتها الحضارية، واقرب الى وصف العلاج وادق في وضع الخطط الاجتماعية والتربوية والاعلامية، لمعالجة الجوانب السلبية في العولمة الجديدة([1]).. ولكنهم مع ذلك يحتاجون الى المواقف الحازمة من اخوانهم في العالم الاسلامي، لتنمية وجودهم والدفاع عن مصالحهم ورفدهم بكل اسباب الحفاظ على الكيان والوجود والهوية.

لقد تعرضت الاقليات الاسلامية في كثير من بلاد الغرب والشرق، ولاسيما في ظل الانظمة الشمولية الى الاضطهاد الديني والثقافي فقد حاولت تلك الانظمة امحاء هويتها الدينية والثقافية والاجتماعية، تارة بتغيير اسمائهم الاسلامية، وآخرى باصدار القوانين التي تبيح زواج المسلمة من غير دينها، وفرض نظام العولمة الاسري عليها وعلى اهلها وثالثة بمنعها من بناء المساجد والمؤسسات الثقافية والمدارس التربوية.

والاليوم لقد خرجت تلك البلدان من قسوة الانظمة الشمولية، ولكن المسلمين الى اليوم يعانون مما ترتب على تلك السياسات الطالمة من اثار خطيرة تناول كما نالت من قبل من عقيدة المسلمين وهويا تهم الثقافية.

فمن هنا فالاقليات الاسلامية في تلك البلدان يحتاجون الى مدد العون، عقيديا وثقافيا واجتماعيا، من لدن اخوانهم في العالم الاسلامي، من اجل الدفاع عن مصالحهم، واستعادة هويتهم الاسلامية بانشاء

المساجد والمدارس والمؤسسات الثقافية.

وهذا من اوجب واجبات الدول الاسلامية، فهي تستطيع عن طريق علاقتها السياسية والمصلحية، ان تضغط باتجاه الحقوق الكاملة لتلك الاقليات، وتقديم المساعدات المالية، والمعنوية اليها.

ولاشك ان ما يبحث ويقدم في هذا المؤتمر المبارك سيقدم دليلا هاديا للمساعدة، في تقويم اوضاع اخواننا في بلاد الاقليات.

واه هو الهادي الى سواء السبيل

([1]) العولمة من المنظور الاسلامي-للمؤلف ط 1b 2002-1422 العراق).